الجغرافيا على
مر العصور

الفصل السادس

حركة
الكشوف الجغرافية

obeikandl.com

obeikandl.com

بانتهاء العصور المظلمة في أوروبا وسطوع شمس عصر النهضة في القرن الرابع عشر بدأ عصر جديد هو عصر الكشوف الجغرافية الحديثة، ففي القرن الرابع عشر قامت الثورة البروتستانتية ضد الكنيسة الكاثوليكية، وبدأت أوروبا تتحرر من القيود الصارمة التي فرضتها الكنيسة على الفكر والمفكرين، فظهرت بها نهضة شاملة في شتى مجالات الملاحة والفلك والرياضيات، خاصة في إيطاليا وأسبانيا والبرتغال، كما شملت تلك النهضة الكشوف الجغرافية التي أماطت اللثام ـ في أقل من قرن من الزمان ـ عما كان مجهولا من البحار والمحيطات، وما وراءها من قارات حتى ذلك الوقت.

ولذلك فإن أهم جوانب تلك النهضة الأوربية ما حققه الأوربيون خلال القرنين الخامس عشر والسادس عشر الميلاديين في مجال الكشوف الجغرافية، عن طريق الرحلات البحرية، التي تعرفوا من خلالها على أراضٍ جديدة لم تكن معروفة لهم من قبل، وبسبب هذه الرحلات والكشوف نمت المعرفة الجغرافية الحديثة وتطورت حتى بلغت ما وصلت إليه في الوقت الحاضر.

وتعد حركة الكشوف الجغرافية من العوامل الحاسمة التي ترتب عليها انتقال أوروبا من العصور الوسطى إلى العصور الحديثة، وقد سارت حركة الاستكشاف الجغرافية في خط موازٍ لحركة إحياء التراث القديم، وحركة الإصلاح الديني. ولعل أكبر وأهم الكشوف الجغرافية التي شهدها ذلك العصر هو كشف الطريق البحرى حول أفريقيا، وعبور المحيط الأطلسي واكتشاف الأمريكتين، ورحلة ماجلان البحرية حول العالم، وكشف البحار الجنوبية وأستراليا، والرحلات الكشفية في البحار القطبية الجنوبية والشمالية.

ولقد كانت معرفة الأوروبيين بالعالم الخارجي خلال العصور الوسطى معرفة ضئيلة، لا تتجاوز حدودها السواحل الشمالية لقارة إفريقيا وجزءاً صغيراً من

ساحلها الشمالي الغربي، وقد كان الاعتقاد السائد أن حدود العالم لا تتجاوز الصحراء الكبرى، وأن المحيط الأطلسي يمتد إلى ما لا نهاية، وأنه مأوى للوحوش والشياطين، وليس باستطاعة الإنسان أن يحاول استكشاف ما فيه أو ما بعده. كما ساد الاعتقاد بوجود صخور في البحر تجذب السفن إليها إذا ما اقتربت منها، وأن في تلك الصخور قوة خارقة تمكنها من اقتلاع مسامير تلك السفن وإغراقها، وما من شك أن هذه التصورات كانت خاطئة، وهي عبارة عن خرافات اشتملت على عنصر التخويف، إلا أنها في الوقت نفسه كانت تحتوي على عنصر التشويق، الذي شجع المغامرين على القيام بمغامراتهم في تلك البحار، من أجل الوصول إلى المجهول خاصة وأن هذه الخرافات التي كانت سائدة في العصور الوسطى كانت تغري هؤلاء المغامرين بجبال تشع منها أنوار الأحجار الكريمة، وبالأنهار التي تجري على أرض من ذهب.

وتعتبر حركة الكشوف الجغرافية حلقة في سلسلة المحاولات الأوربية للسيطرة على الشرق الإسلامي والإفادة من خيراته وموقعه الجغرافي، والتحكم في طريق التجارة التي تمر عبر أراضيه وتنقل خلالها منتجات شرق وجنوب آسيا (من حرير وبهارات وعطور) إلى أوربا، التي كانت في حاجة شديدة إلى البهارات والتوابل التي كانت تستورد من بلاد الشرق كالهند والصين وسرنديب (سري لانكا حالياً)، عبر طريق الخليج العربي والبحرين الأحمر والمتوسط ثم دمشق والقاهرة، ثم إلي أوروبا عن طريق المدن الإيطالية وأهمها مدينتا البندقية (فينيسيا) وجنوا.

ومن المؤكد أن العوامل الاقتصادية قد لعبت دوراً مهماً في دفع حركة الكشوف الجغرافية إلى الأمام. بعدما فكّر الأوروبيين في إيجاد طريق آخر يصلون من خلاله إلى الشرق، وبالتالي إنهاء عملية احتكار التجارة التى كان ينفرد بها مماليك مصر وتجار البندقية، ومن الأسباب التي شجعت البرتغاليين والأسبان رحلة

«ماركوبولو» الإيطالي، وما كتبه عن الصين وما تتمتع به من ثروات واسعة، وقد شجعت هذه الرحلة العديد من المغامرين علي القيام برحلات استكشافية مماثلة، وقد ساعد الشعور القومي في أسبانيا والبرتغال على التوسع الخارجي، وعلي تنفيذ هذه السياسة في ظل الكشوف الجغرافية، فالبرتغال مثلاً جعلت شعارها ضرب المسلمين في غرب إفريقيا ومن هنا يضاف دور العوامل الدينية في حركة الكشوف الجغرافية. فمن الثابت تاريخياً أنه بعد فشل الحملات العسكرية الصليبية التي وجهتها أوربا إلى بلاد الشام ومصر لجأ الأوربيون الي البحث عن طرق جديدة تحوَّل إليها هذه التجارة بعيداً عن العالم الإسلامي، فقامت بعدة رحلات بحرية كشفية انتهت باكتشاف بعض ما كان مجهولاً من أجزاء الكرة الأرضية.

وقد كان لاحتكاك الأوربيين بالمسلمين في بلاد الشرق العربي أثناء الحروب الصليبية وإطلاعهم على ما كتبوه أثر كبير في نمو معارفهم ومعلوماتهم الجغرافية، ووعيهم باستخدام كثير من آلات الرصد والتوجيه، كالبوصلة والإسطرلاب، وتصحيح كثير من الأفكار الجغرافية المغلوطة لديهم، مما شجعهم على القيام بهذه الرحلات، فقد ساعدت رحلات «هنرى الملاح» (١٣٩٤ - ١٤٦٠م) على إزالة الأوهام القديمة التي كانت سائدة عن الكوارث التي يمكن أن يتعرض لها من يجازف بالملاحة جنوبا، مثل سقوطه على حافة العالم أو تحوله من رجل أبيض إلى رجل أسود، أو وصوله إلى منطقة تغلي فيها مياه البحر.

حركة الكشوف البرتغالية

كانت البرتغال هي أول دولة أوروبية بدأت الكشوف الجغرافية، التي حظيت بتأييد الأمير هنري بن حنا ملك البرتغال، وكان مهتماً بالجغرافيا والرياضيات وبحاراً ماهراً مولعاً بالملاحة، كما كان متحمساً لنشر المسيحية بين سكان القارة الإفريقية، وقد قام بتأسيس أكاديمية بحرية ومرصد عملت بهما مجموعة من علماء

الجغرافيا والفلكيين وراسمي الخرائط والبحارة من إيطاليا وصقلية، الذين جمعوا العديد من الخرائط المتوفرة في ذلك العصر، وقد حاول ذلك الأمير الوصول إلى الحبشة والهند.

وفي عام ١٤١٤م أقنع الأمير أباه بشن حملة غزو على ميناء سبتة الإسلامي على الساحل الأفريقي الشمالي عبر مضيق جبل طارق من شبه الجزيرة الأيبيرية، وفعلاً تمكن البرتغاليون من احتلال المدينة في أغسطس من عام ١٤١٥م، حيث رأى «هنري» هناك عوائد طرق التجارة التي كانت تأتي من الصحراء الكبرى منتهية في سبتة، إلا أن هذه التجارة انقطعت بعد سقوط هذه المدينة في يد البرتغاليين، وقد أعجب الأمير هنري بالثراء الذي وجده هناك، وبأفريقيا بشكل عام، وبأسطورة القسيس جون.

شكل رقم (٧٠) الأمير هنري الملاح

وأراد هنري، وشقيقاه الأكبر منه دوارت وبدرو، أن يثبتوا أنهم يستحقون الإشادة، ، فنظموا جيشًا بموافقة من والدهم، واستولوا على مدينة تجارية مهمة في المغرب، نُصِّب هنري حاكمًا لها. وقد أثارت الطرق التجارية بين تلك المدينة وداخل إفريقيا اهتمام هنري بجغرافية إفريقيا فأراد أن يوسع تجارة البرتغال ونفوذها عبر

الشاطئ الإفريقي. على أمل أن يجد مصدر الذهب الذي كان يحمله التجار المسلمون شمالاً من إفريقيا الوسطى لمئات من السنين، وقد ساعدت مهارات الأمير هنري في الرياضيات والفلك على تنظيم حملات عبر الشاطئ الشمالي الغربي الإفريقي، فوصل برتغاليان هما «جواو جونسالفيز» و«تريستاو فاز» أرسلهما هنري في عام ١٤١٩م إلى جزيرة «بورتو سانتو»، إحدى جُزر مادييرا. وأبحر هذان المكتشفان إلى جزيرة مادييرا نفسها في بداية العشرينيات من القرن الخامس عشر الميلادي، ومن ثم استعمرت البرتغال كلتا هاتين الجزيرتين.

وكان أحد أهداف الأمير هنري إرسال مكتشفين لأبعد من رأس «بوجادور» فيما يعرف الآن بالصحراء الغربية. وقد كان رأس بوجادو C. Bojado أقصى نقطة جنوبية معروفة للأوروبيين في ذلك الوقت، وبعد العديد من المحاولات الفاشلة، عبرت حملة يقودها «جيل إيانس» ذلك الرأس في عام ١٤٣٤م. ووصل إيانس إلى «ريَو دي أورو» التي تقع في الصحراء الغربية أيضًا في عام ١٤٣٦م.

وعاد أحد مكتشفي هنري، وهو «أنتاو جونسالفيز» إلى البرتغال ومعه بعض الأفارقة الذين أسرهم في إحدى الحملات عام ١٤٤١م. وكان هؤلاء الأفارقة أوائل المسترقين الذين سيقوا من غرب إفريقيا إلى أوروبا. وكان أحد الأسرى شيخ قبيلة يدعى «عداحو» الذي أخبر هنري بأرض أبعد في الجنوب وفي العمق. وأبحر «نونو تريستاو» في عام ١٤٤١م إلى أقصى الجنوب حتى «الرأس الأبيض» C. Blanco على حدود الصحراء الغربية وموريتانيا. ووصل «دينيز دياز» إلى كيب فيرد C.de Verd أو الرأس الأخضر (السنغال حالياً) في عام ١٤٤٥م. ومع وفاة هنري في عام ١٤٦٠م، وصلت سفن البرتغال إلى شاطئ سيراليون.

وقد خطط هنري وجهز المال اللازم للكشوف، وساعده معدو الخرائط والفلكيون والرياضيون، الذين ينتمون إلى العديد من الجنسيات، وكان قد جمعهم جميعًا في

«ساجريس» بالقرب من كاب سانت فينسنت، بالبرتغال. وقادت المعرفة الملاحية التي اكتسبت تحت توجيه هنري إلى العديد من الرحلات التاريخية خلال ٥٠ سنة بعد وفاته، وقد شملت رحلات مكتشفي البرتغال فاسكو دي جاما وبارتولوميو دياز حول الرأس الجنوبي من إفريقيا (رأس الرجاء الصالح) Cape of Good Hope .

وقد عيّن هنري حاكمًا لمجموعة فرسان المسيح الفاحشة الثراء، والتي كان مقرها قد أسس في عام ١٤١٣ م في» ساگرس «بالقرب من رأس القديس ڤنسنت في أقصى جنوب غرب البرتغال. وقد حمل الأمير هذا المنصب لبقية حياته. وبالرغم من أنه أصبح يتفرغ أكثر وأكثر للمسيحية مع مرور الوقت، إلا أنه ظل في هذا المنصب الذي كان مصدراً مهماً للتمويل للقيام بعملياته الاستكشافية على مدى العقد الرابع من القرن الخامس عشر الميلادي .

وبالإضافة إلي ذلك كانت هناك مصادر تمويل أخرى. فبعد موت الملك جواو الأول في عام ١٤٣٣ م، أصبح شقيقه الأمير دوارت ملكًا، وعيّن له خمس الأرباح التي كانت تجنى من المناطق المكتشفة، كما أعطاه الحق الحصرى بتسيير حملات تتعدى رأس «أبو خطر «في الصحراء الغربية. وبعد خمس سنوات مات دوارت، فقام الأمير هنري بدعم شقيقه پدرو لتولي الحكم. كما قام هنري أيضا بالتخطيط لرحلات لاستعمار جزر الآزورا أثناء حكم «بيدرو» (١٤٣٩ـ١٤٤٨م) . وقد شجَّعت رحلات هنري علي اكتشافات شاطئ إفريقيا الغربية خلال القرن الخامس عشر الميلادي. وعلى تقدم دراسة الجغرافيا، وجعلت البرتغال رائدة في الإبحار عبر الدول الأوروبية في ذلك الوقت، وقد أرسل هنري أكثر من ٥٠ حملة دون أن يصحب أيًا منها بنفسه .

وقد تمكن البرتغاليون من الوصول إلى ساحل الذهب (غانا حالياً) في عام ١٤٧٢ عندما اكتشفها الربان «يوحنا ستنارم»، وكذلك مصب نهر الكونغو، وفي

سنة ١٤٨٨ استطاع بارتلمُيو دياز Bartholomew Diaz أن يصل إلى رأس إفريقيا الجنوبي بعدما عانى الأهوال من العواصف والأنواء فأسماه «رأس الأهوال» ولكن يوحنا الثاني ملك البرتغالي أبدله باسم رأس الرجاء الصالح، وقد أوضح بارثولوميو كثيراً من الحقائق عن منطقة الركود الاستوائي والملاحة ضد التيارات البحرية مثل تيار «أجولاس» الحار أمام سواحل جنوب شرق أفريقيا، والعواصف الشديدة حول الطرف الجنوبي في نطاق الأربعينات المزمجرة Roraing Forties.

ثم استطاع مكتشف آخر هو «فاسكو دي جاما» Vasco de Gama أن يطوف حول رأس الرجاء الصالح في سنة ١٤٩٧ ثم يعبر المحيط الهندي ليصل سواحل الهند الغربية في سنة ١٤٩٨، ثم عاد إلى لشبونة في سنة ١٤٩٩. وقد استفاد داجاما كثيراً من نتائج رحلة بارثولوميو فانطلق من جزر الرأس الأخضر في عرض البحر إلى رأس الرجاء الصالح في خط مستقيم ولكن على الرغم من أنه وفر بذلك وقتاً طويلاً، إلا أن بعده عن الساحل حرمه من تجديد مؤنه ومياهه فساءت صحة بحارته ومات الكثيرون منهم، وبعد أن وصل داجاما إلى رأس الرجاء الصالح سار بجوار سواحل أفريقيا الجنوبية الشرقية ثم اتجه شمالاً حتى وصل إلى بلدة مالندى ومنها اصطحب ملاحاً هنديا ساعده في الوصول إلى الهند.

ولقد كان أمثال هنري الملاح وفاسكو دي جاما من طلائع الاستعمار، ولم يكن دورهم الذي قاموا به إلا اعتماداً على عصارة جهد المسلمين والعرب الذين رافقوهم في تلك الرحلات، فلم يستطع فاسكو دي جاما أن يصل إلى الشواطئ الشرقية إلا بمساعدة البحار المسلم (أحمد بن ماجد أسد البحر) الذي كتب أبحاثا كثيرة في أمور البحر والرحلة فيه بل إن دي جاما خدع بن ماجد حتى استطاع أن يحقق غرضه، وذلك بعد أن أسكره بالنبيذ ودفعه بالتهديد إلى أن يقود حملته إلى الهند. وقد كانت كتب أحمد بن ماجد هي العون الأول لكل رحلات اكتشاف

الطرق البرية ومسالكها عن طريق العلامات التي أوردها لهداية البحار من نجوم ومسالك بحرية وعلامات الليل والنهار.

وقد كذبت الوقائع التاريخية ما حاولت الكتب العربية المؤلفة في ظل النفوذ الاستعماري أن تنسبه إلى فاسكو دي جاما من أنه وصل إلى كلكتا، وذلك لأنه لم يذهب إلى (كلكتا) بل وصل إلى مدينة تدعى قاليقوط (كاليكوت) تقع على ساحل «كيرالا» في الجنوب الشرقي من شبه جزيرة الهند وتبعد عن كلكتا التي تقع على مصب نهر الجانج في الشمال الغربي من الهند بأكثر من ألف ميل. وهكذا نجح البرتغاليون في التخلص من احتكار تجار البندقية والعرب لطريق التوابل وأخذ البرتغاليون منذ ذلك الوقت يتاجرون مع الشرق من خلال ذلك الطريق.

حركة الكشوف الأسبانية

دفعت الإنجازات التي حققتها البرتغال في مجال الكشف الجغرافي- ملوك أسبانيا إلى تسيير عدة رحلات كشفية اتجهت كلها غرباً في المحيط الأطلنطي، أملاً في اكتشاف طريق أقرب إلى الهند وشرقي آسيا، انتهت باكتشاف الأمريكتين والدوران حول الكرة الأرضية.

وهناك اختلاف بين حركة الكشوف الأسبانية وحركة الكشوف البرتغالية، فحركة الكشوف البرتغالية قامت بها البرتغال حكومة وشعباً، حتى أن بعض نساء مدينة لشبونة عاصمة البرتغال كن يتبرعن بحليهن لتجهيز الرحلات البحرية، بل ويرفضن الزواج بمن لم يشارك في هذه الرحلات، أما حركة الكشوف الأسبانية فقامت في البداية على يد مجموعة من المغامرين، عندما اتخذت الهيئات الرسمية الأسبانية في ذلك الحين موقفاً معارضاً من حركة الكشوف الجغرافية. وقد اتجهت حركة الكشوف الجغرافية البرتغالية نحو الشرق من أجل الوصول إلى الهند، بينما اتجهت حركة الكشوف الأسبانية نحو الغرب للوصول إلى الشرق تحقيقاً لنظرية كروية الأرض.

ويعتبر كريستوفر كولومبس Christopher Columbus (١٤٤٦ـ١٥٠٦) رائد حركة الكشوف الجغرافية الأسبانية وكان إيطالياً من جنوه درس الجغرافيا والرياضيات والفلك، يكتسب معيشته برسم الخرائط للبحارة، وعلى علاقة مستمرة بحركات الكشوف الجغرافية الأخرى، ومؤمناً بنظرية كروية الأرض وبإمكانية الوصول إلى الشرق عن طريق الغرب، وقد تولدت في رأس كولومبس فكرة هذه الرحلة والرغبة في تحقيقها من أجل الشهرة والثراء، و بذل جهداً كبيراً في الدراسة البحرية العملية الحديثة في عصره، كما أقرّ علماء عصره أنّ العبور إلى شبه القارة الهندية وقارة آسيا لا يقتصر فقط على الرحلات المتجهة شرقاً ولكن إمكانية الوصول ممكنة بالاتجاه غرباً وذلك لكروية الأرض، وانطلاقاً من وجهة النظر هذه قرر المغامرة معتمداً على أحدث خرائط علماء عصره الإيطالي: (باولو توسكانيلي ١٣٩٧ـ١٤٩٢)، والألماني (مارتين بيكهام ١٤٥٩ـ١٥٠٥) وكِلاهما متخصّص بالرياضات والفلك .

شكل رقم (٧١) كريستوفر كولومبس

وقد عرض كولمبوس فكرة مشروعه علي مجلس الشيوخ في جنوة، وكذلك علي الملك هنري السابع ملك إنجلترا، ولكن عرضه رفض فأرسل رسالة إلى مستشار

الملك البرتغالي خواو إلثاني قائلاً: أنا أعرف أنّ وجود مثل هذا الطريق هو برهان حقيقي على كروية الأرض، ولسهولة برهان هذه النظرية قررت افتتاح هذا الطريق البحري الجديد، وسأرسل إلى جلالتكم الخارطة من اكتشافي الخاص وسيكون موجود عليها ميناؤكم وجزركم موضحاً عليها وجهة الإبحار نحو الغرب والأماكن التي سأكتشفها أثناء الرحلة، وأيضاً أبعد نقطه يمكن الوصول لها سواء من القطب أو من خط الاستواء، والمسافات التي ستعبرونها للوصول إلى البلدان التي قد تحصدون منها الكنوز، ولا تتفاجأوا إذا قلت أن بلاد الغرب بلاد الكنوز كما أنهم وكالعادة يسموننا الشرق، حيث أن من أبحر باستمرار باتجاه الغرب قد وصل بلاد الشرق عبر المحيط إلى النصف الثاني من الكرة الأرضية، ولكن إذا أرسلتم مكتشفين عبر اليابسة انطلاقاً من نصف الكره الأرضية التي أنتم فيها فإننا نجد أنّ تلك البلاد التي تم الوصل إليها ما هي إلا الشرق.

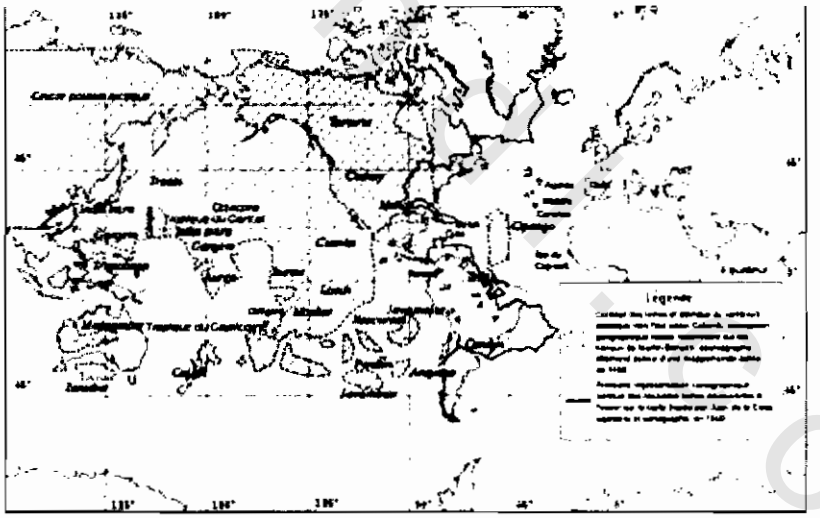

شكل رقم (٧٢) مفاهيم كولمبوس الجغرافية

في يوم ٣٠ ابريل عام ١٤٩٢ وقّع الملوك الكاثوليك الأسبان، مع كريستوفر كولومبس اتفاقية جاء فيها أنّه كمكتشفٍ للجزر والقارات في البحر والمحيط،

وانطلاقاً مما سبق سيُمنح رتبة أمير البحار والمحيطات كقرار ملكي يسري في جميع أنحاء البلاد، ويُضاف إلى ذلك أنه سيُمنح ١٠٪ من الذهب والبضائع التي سيُحضرها معه بدون أية ضرائب، وفي مرفأ بالوس كانت قد جُهزت ثلاث سفن مختلفة الأحجام من نوع كارافيل Caravelle السفينة الأولى: سفينة القيادة «سانتا ماريا» وعدد أفراد طاقمها ٨٤ بحّارا بقيادة الأدميرال أمير البحر كولومبس، السفينة الثانية: بينتا وعدد أفراد طاقمها ٦٥ بحاراً، وكان قبطانها ومالكها «مارتين آلونسو بينسون» والسفينة الثالثه نينا (سانتا كلارا) وعدد أفراد طاقمها ٤٠ بحاراً والقبطان «ڤيسنتي يانيس بينسون» ومالِك السفينة «خوان نينيه». وجميع هذه السفن كانت شراعية تبحر اعتماداً على قوّه الرياح واتجاهها.

شكل رقم (٧٣) سفن كولمبوس الثلاث

ولقد بدأ كولومبس رحلته الأولى في ٣ أغسطس سنة ١٤٩٢م، وبعد أسابيع وصل إلى جزيرة سامنا، وهي إحدى جزر الباهاما في يوم ١٢ أكتوبر، ومنها أبحر إلى كوبا فبلغها يوم ٢٨ أكتوبر، وبعد ذلك اتجه نحو هايتي التي أسماها (هسبانيولا)، وقد أعتقد كولومبس أنه وصل إلى جزر الهند الشرقية، على الرغم من أنه لم يجد أثراً للتوابل، ولهذا أطلق عليها اسم «جزر الهند الغربية» ومازالت هذه التسمية شائعة حتى الآن، في ١٦ ديسمبر ١٤٩٢ عادت السفينتان بينتا ونينا إلى

أسبانيا في رحلة عودة استغرقت ما يُقارب ثلاثة شهور، حيث وصلتا الميناء الأسباني في ١٥ مارس ١٤٩٣.

شكل رقم (٧٤) إيزابيلا ملكة إسبانيا

شكل رقم (٧٥) رحلة كولومبس الأولي

ولم يتوقف كولومبس عند هذا الحد من الاكتشافات، فقد كان تواقاً دوماً لاكتشاف ما هو أبعد, فقام بثلاث رحلات أخرى فيما بين عامي ١٤٩٤ و١٥٠٢م، وعاد ليُبحر ثانية من موانئ أسبانيا بأسطول مكون من ١٧ سفينة يرافقه ١٥٠٠ بحار, وكانت سفنه مجهزة بتموين يكفي بحارته ستة أشهر, وقد اكتشف

جزراً جديدة من ضمنها ما يُعرف اليوم بجزر الأنتيل، ومن بعدها البحر الكاريبي من الجهة الجنوبية لكوبا، والساحل الرئيس لهندوراس، كل ذلك في سبيل بحثه عن الهند، وفي مايو ١٤٩٤م وصل جامايكا , والعديد غيرها من الجزر الواقعة شرق القارة الأمريكية، وبذلك وصل كولومبس إلى أهم الاكتشافات وأهم الطرق البحرية الجديدة وتم وضع خرائط ورسومات جديدة، كل هذا ولم يخطر على باله يوما أنه لم يصل الهند.

شكل رقم (٧٦) بعض بحارة كولمبوس

وقد مات كولمبوس سنة ١٥٠٦م دون أن يعلم أنه اكتشف عالماً جديداً، فسرعان ما تبين أن ما اكتشفه من أراض عبر المحيط الأطلسي لم يكن قارة آسيا، وإنما عالم جديد. ففي العشرين من شهر مايو من ذلك العام، وفي «فايادوليدو» بأسبانيا تدهورت صحته وبدأ يصارع الموت بعد أن تعارك طوال حياته مع أمواج البحر والمحيط، وقد تم دفنه في البيت الذي هو الآن متحف مكرس له.

شكل رقم (٧٧) رحلة كولومبس الثانية

شكل رقم (٧٨) رحلة كولومبس الثالثة

شكل رقم (٧٩) رحلة كولومبس الرابعة

ورغم أن كريستوفر كولومبس هو أول من اكتشف أمريكا والعالم الجديد، إلا أنها سميت باسم شخص آخر هو أمريجو فيسبوتشي Amerigo Vespucci (١٤٥١ـ١٥١٢) الذي أكد أن كولومبس لم يصل إلى الهند لكنه وصل إلى العالم الجديد، وفي عام ١٥٠٧ قام الجغرافي الألماني« مارتن فالد سميلر «برسم خريطة العالم الجديد كما رآه أمريجو ووصفه، واقترح أن يطلق على هذا العالم اسم مكتشفه، ووجد هذا الاقتراح قبولاً، وسمي هذا العالم الجديد أمريكا نسبة إلى أمريجو.

شكل رقم (٨٠) أمريجو فيسبوتشي

وقد قام «فسبوتشي» وهو من بحّارة مدينة فلورنسا باكتشاف معظم ساحل أمريكا الجنوبية ما بين عامي ١٤٩٩و١٥٠١، وكتب مقالاً فى سنة ١٥٠٣ ادعى فيه اكتشاف العالم الجديد، وقد أطلق اسمه على أمريكا الجنوبية وأمريكا الشمالية، وقد بلغ فسبوتشي خليج «كمبيشي» في الطرف الجنوبي من خليج المكسيك ثم دار شمالاً وشرقاً حتي بلغ رأس «سابل» في الطرف الجنوبي لشبه جزيرة فلوريدا، وسار شمالاً الي رأس «هتراس» شرقي ولاية كارولينا الشمالية، ومنها الي أسبانيا التى بلغها يوم ١٥ أكتوبر عام ١٤٩٨، ثم قام بأكثر من رحلة إلي عالمه الجديد الذي سمي باسمه

الي أن توفي في عام ١٥١٢.

وقد أولت الحكومة الأسبانية مزيداً من الاهتمام للرحلات البحرية الطويلة بقصد الكشوف الجغرافية، وذلك بعد نجاح مغامرة كولومبس وخلفه أمريجو فيسبوشي فشجعت فرديناند ماجلان Ferdinand Magellan (١٤٨٠-١٥٢٠م) وهو رحالة ومستكشف برتغالي عمل في خدمة البلاط الأسباني وأول من طاف حول الأرض) في سنة ١٥١٩م على القيام بأطول رحلة بحرية في ذلك الوقت، فأبحر من أسبانيا متجها غرباً حتى وصل البرازيل في قارة أمريكا الجنوبية، ثم دار حول تلك القارة من المحيط الأطلسي إلى المحيط الهادي، عبر مضيق عرف باسمه فيما بعد، واستمر في الإبحار غرباً حتى قطع هذا المحيط الكبير ووصل إلى بعض الجزر القريبة من الساحل الشرقي لآسيا، وفي إحدى تلك الجزر (جزيرة سيبو) قتل ماجلان في سنة ١٥٢١م.

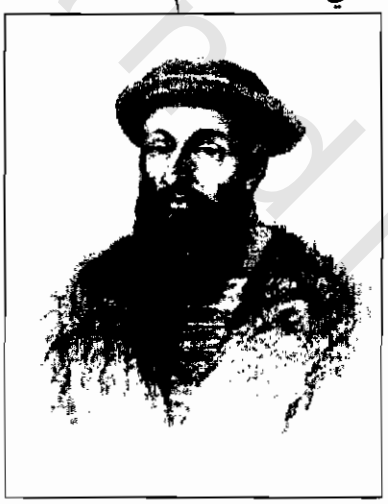

شكل رقم (٨١) فرديناند ماجلان

وفي ٣ مارس عام ١٥٢١م اكتشف ماجلان جزيرة جوام في المحيط الهادي في إطار رحلته حول العالم التي انتهت به في الفلبين، وعندما وصلت سفنه إلى شاطئ جزيرة جوام خرج أبناء قبيلة كاموروس التي كانت تسكن هذه الجزيرة للترحيب

بها، وربما لم يكن سكان هذه الجزيرة قد رأوا أي أوروبيين حتى ذلك الوقت، لكنهم كانوا قد اعتادوا ممارسة التجارة مع الآخرين القادمين من المناطق البعيدة، بما في ذلك العرب الذين كانوا من أوائل من شقوا طرق التجارة البحرية مع سكان جنوب شرق آسيا والمحيط الهادي وشبه القارة الهندية، لذلك لم يشعروا بالقلق من نزول رجال ذوي بشرة بيضاء على جزيرتهم، وقد سارع سكان الجزيرة بمقابلة سفن ماجلان قبل أن تصل إلى الشاطئ في قوارب صغيرة محملة بالطعام والغذاء، وكان سكان الجزيرة ينتظرون أن يرد لهم الأوروبيون الجميل بأجمل منه ولكن خاب ظنهم، فلم تمر سوى سنوات قليلة حتى تدفقت السفن الأوروبية المحملة بالتجار ومعهم المسلحون الذين فرضوا سيطرتهم على تلك المناطق لتبدأ مرحلة من أطول مراحل الاستعمار في التاريخ.

وقد بدأ الأسبان المسيرة الاستعمارية في جزيرة جوام، حيث استمرت سيطرة أسبانيا على هذه الجزيرة أكثر من أربعمائة عام، وبعد الأسبان جاء الأمريكيون ليحتلوها بعد نجاحهم في هزيمة الأسبان في الحرب الأمريكية الأسبانية عام ١٨٩٨م، التي انتهت باستيلاء الأمريكيين على أغلب المستعمرات الأسبانية في جنوب شرق آسيا مثل جوام والفلبين، وقد عمل ماجلان لدى الملك الأسباني رغم أنه برتغالي الأصل. ونفذ أكبر مشروع جغرافي ظهر في العالم، ألا وهو الطواف حول العالم في رحلة بحرية متصلة وفي اتجاه واحد.

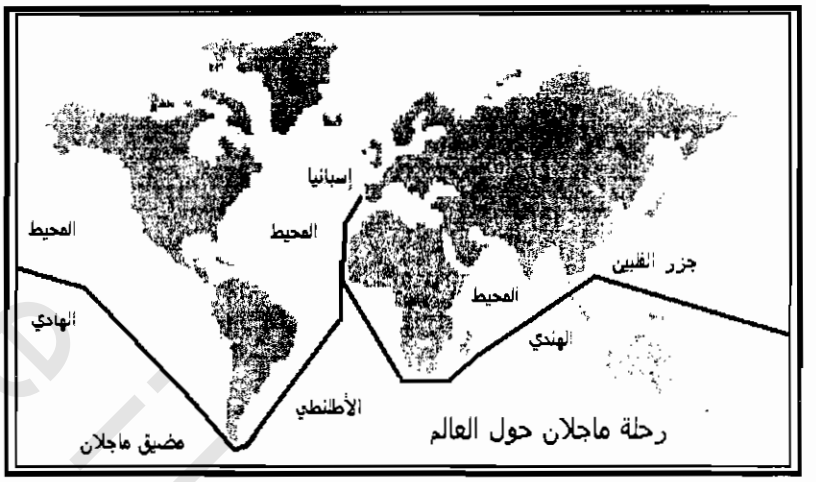

شكل رقم (٨٢) رحلة ماجلان

وقد واصل رفاق ماجلان الرحلة بقيادة (سباستيان دل كانو) متنقلين من جزيرة إلى أخرى حتى دخلوا المحيط الهندي، واستمروا في الإبحار غرباً حتى وصلوا إلى قارة أفريقيا، فداروا حول رأس الرجاء الصالح عائدين بذلك إلى المحيط الأطلسي الذي بدأوا منه رحلتهم الطويلة، وساروا نحو الشمال حتى وصلوا إلى أسبانيا في سنة ١٥٢٢م، فأتموا بذلك تلك الرحلة الطويلة التي أثبتت عملياً أن الأرض كروية والتي اكتشفت عدداً من الطرق البحرية والجزر التي لم تكن معروفة للأوربيين من قبل.

شكل رقم (٨٣) سفينة ماجلان فكتوريا

حركة الكشوف الإنجليزية

اهتمت إنجلترا كذلك بالبحث عن طريق جديد إلى الصين وجزر الهند الشرقية فسيّرت لذلك عدة رحلات اتجهت صوب الشمال الغربي في المحيط الأطلنطي، وكانت أول محاولة استكشافية إنجليزية قد حدثت في سنة ١٤٩٧م عندما أبحر الإيطالي Giovanni Caboto (١٤٥٠-١٤٩٨م) والمعروف لدي الإنجليز باسم «جون كابوت» John Cabot من ميناء بريستول عبر المحيط الأطلنطي للوصول إلى الهند عن طريق آخر، إلا أنه وصل إلى شواطئ أمريكا الشمالية عند جزيرة نيوفوندلاند وشبه جزيرة لبرا دور، غير أن أمله في الوصول إلى الشرق لم يتحقق، وفى السنة التالية قام كابوت برحلة ثانية اكتشف فيها الشاطئ الشرقى لأمريكا الشمالية، وقد نتج عن ذلك تمهيد الطريق لاستعمار انجلترا لجزء كبير من العالم الجديد، بعد تمكنها من وضع يدها على أراضي أمريكا الشمالية في عام ١٤٧٩، وإعلان ملك بريطانيا أن جميع ما اكتشفه كابوت يعد أرضا تابعة للتاج البريطاني.

وقد ولد كابوت في جنوة بإيطاليا، وأثناء صباه رحل إلى البندقية مع والديه، وقد نشأ هناك وأصبح تاجراً ومصمم خرائط، وأبحر في البحر المتوسط ما بين البندقية ومصر يقايض بالبضائع الإيطالية البهارات من الشرق الأقصى، وانتقل إلى بريستول بإنجلترا في الثمانينات من القرن الخامس عشر الميلادي، وكان يعيش هناك عندما قام كريستوفر كولمبوس برحلته التاريخية إلى أمريكا عام ١٤٩٢.

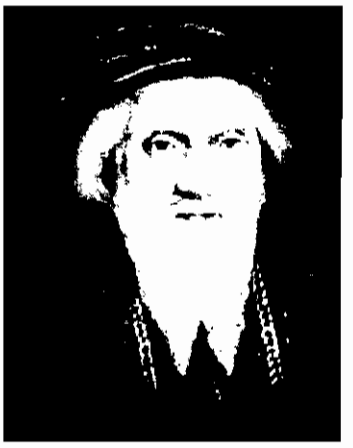

شكل رقم (٨٤) جون كابوت

وفي عام ١٧٦٩م سُيرت بعثة كشفية أخرى بقيادة البحار «جيمس كوك» James Cook (١٧٢٨-١٧٧٩م) وصلت الساحل الشرقي لقارة أستراليا وفتحت أعين الأوربيين والعالم على قارة بكر غير مسكونة، فتدفقت إليها وفود المغامرين والمهاجرين الإنجليز واستوطنوها.

شكل رقم (٨٥) جيمس كوك

وقد وُلد جيمس كوك في قرية مارتون الصغيرة في يوركشاير بإنجلترا وبعد

تعليم ابتدائي قصير، أصبح مساعدًا لبقال ثم بائع خردوات في قرية ستيثيس الساحلية ولما لم يجد في عملية البيع ما يشبع شوقه للمغامرة التحق بالبحرية وعمل «ملاحظاً بحرياً» على طول سواحل نيوفوندلند، وذاعت شهرته رياضياً، وفلكياً، وملاحياً، وفي سنة ١٧٤٦م تدرّب تدريبًا مهنيًا في ويتبي.

وفي سنة ١٧٥٥م وبينما كانت بريطانيا تُعد عُدّتها للحرب، تطوع جيمس كوك في البحرية كبحار عادي، وأظهر مهارة كبيرة في مسح نهر سانت لورنس، ورسم خريطة له. وقد أدى ذلك العمل دوراً مهماً في استيلاء الجنرال جيمس وولف على كويبك، كما لفت انتباه قيادة القوات البحرية له، وقامت جمعية لندن الملكية بنشر تقريره عن كسوف الشمس وخسوف القمر.

ويعد جيمس كوك أحد أهم المستكشفين الأوروبيين في عصر التوسع الاستعماري، وقد قام برسم الكثير من الخرائط وبالعديد من الاكتشافات مثل اكتشاف الساحل الشرقي لأستراليا وجزر هاواي ونيوزيلندا، وقد برز بعد مقتل الرحالة ماجلان عام ١٧٦٨م، وقد قام بثلاث رحلات في المحيط الهادي: الأولى في الفترة ما بين ١٦٧٨ و١٧٧٤م، والثانية في الفترة ما بين ١٧٧٢ و١٦٦٤م، والثالثة في عام ١٧٧٦م اكتشف فيها أرخبيل هاواي، ووصل إلى أطراف ألاسكا في المحيط المتجمد الشمالي الذي يعد حاجزاً جليدياً لا يمكن اختراقه، وهذه الرحلات هي:

الرحلة الأولى:

في سنة ١٧٦٧م، كانت الجمعية الملكية تقوم بعمل ترتيبات واسعة لمراقبة كوكب الزهرة عبر واجهة الشمس في يونيو عام ١٧٦٩م. وكان الملك جورج الثالث مهتمًا شخصيًا بالمشروع، فأمر الأدميرالية بتوفير سفينة لحمل البعثة العلمية إلى تاهيتي. ولهذا رُقّي كوك إلى رتبة ملازم وأعطي قيادة السفينة وقد كانت هذه الرحلة إلى البحار الجنوبية هي بداية مهنته مكتشفًا.

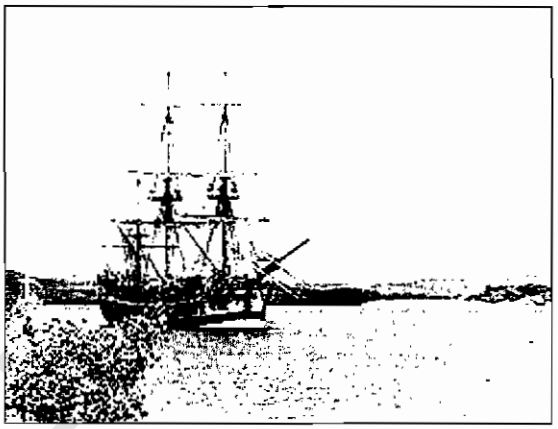

شكل رقم (٨٦) سفينة جيمس كوك

وفي ١٧٦٨، حين بلغ الخمسين، اختير لرئاسة بعثة تسجل مرور كوكب الزهرة، وكانت تقوم بأبحاث جغرافية في المحيط الهادي الجنوبي. فأبحر في ٢٥ أغسطس على السفينة «إنديفر» بصحبة عدة علماء. وقد شوهد مرور كوكب الزهرة في تاهيتي في ٣ يونيو ١٧٦٩، ومنها أبحر كوك باحثاً عن قارة كبرى (تيرا أوستراليس) زعم بعض الجغرافيين أنها تختبئ في بحار الجنوب. فلم يجد شيئاً، ولكنه ارتاد جزر سوسايتي وسواحل نيوزيلندا، ورسم لها خرائط بعناية: ثم واصل رحلته إلى استراليا (التي عرفت يومها بهولندا الجديدة)، واستولى على ساحلها الشرقي لبريطانيا العظمى، وأبحر حول أفريقيا، ووصل إلى إنجلترا في ١٢ يونيو ١٧٧١.

وكانت السفينة إنديفر صغيرة بالنسبة لرحلة طويلة، في بحار لا توجد لها خرائط، وقد أبحرت من بليموث في أغسطس عام ١٧٦٨م، وبعد مراقبة عبور الكوكب واستكشاف الجزيرة، غادر كوك ومرافقوه الجزيرة، وكان كوك قد تلقى تعليمات سرية من قيادة القوات البحرية تأمره بالبحث عن قارة جنوبية مجهولة. وقد وصلت البعثة إلى نيوزيلندا في أكتوبر ١٧٦٩م. ودار كوك حول الجزيرة الشمالية ثم الجنوبية، ليثبت أن نيوزيلندا هي جزر ضخمة وليست جزءًا من قارة

جنوبية. ثم اتجه كوك إلى غربي نيوزيلندا، ولكن عاصفة هوجاء شمالية جرفت السفينة إنديفر في اتجاه الساحل الشرقي لأستراليا التي لم تكن معروفة في ذلك الوقت، وفي صباح يوم ٢٠ أبريل عام ١٧٧٠م، رأى ضابط المراقبة زاكاري هيكس الأرض قُرب حدود ما يعرف الآن بفكتوريا ونيوساوث ويلز.

وقد كانت إنجازات كوك خلال رحلته التي دامت سبع سنوات، عديدة ومتنوعة، فقد قام إلى جانب نقل البعثة العلمية إلى تاهيتي، برسم خرائط دقيقة لسواحل نيوزيلندا وأستراليا الشرقية. كما أثبت أن أستراليا وغينيا الجديدة منفصلتان. كما أن إبحاره في المحيط الهادئ الجنوبي أثار الشكوك حول وجود قارة جنوبية كبيرة.

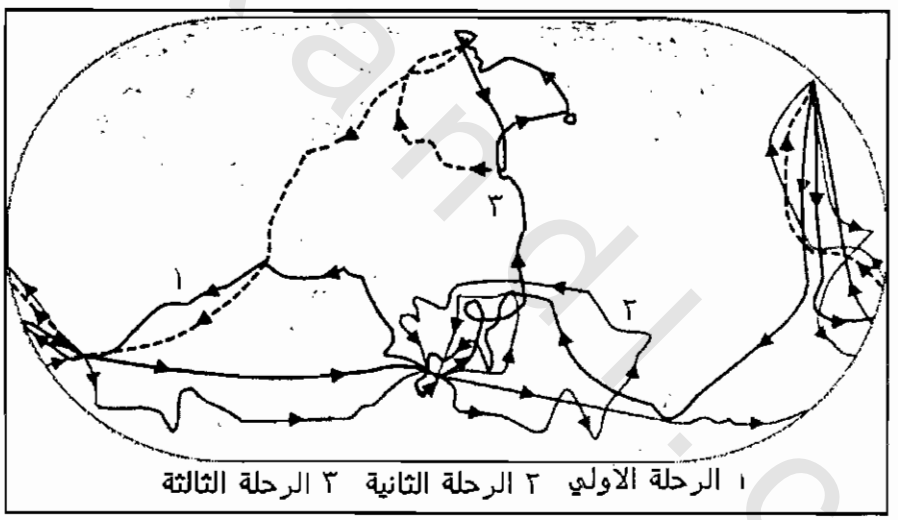

شكل رقم (٨٧) رحلات جيمس كوك

الرحلة الثانية:

وفي ١٣ يوليو ١٧٧٢، ركب البحر من جديد، ومعه السفينتان رزوليوس وإنديفر، بحثاً عن القارة الجنوبية المزعومة، وقد حرث البحر شرقاً وجنوباً بين

رأس الرجاء الصالح ونيوزيلندة، وعبر الدائرة القطبية الجنوبية، وزار جزيرة إيستر ورسم خرائط لجزر ماركيز وتونجا، وأسماها «فرندلي» أي الجزيرة الصديقة، واكتشف كاليدونيا الجديدة، وجزيرة نورفوك، وجزيرة باينز ، وعبر المحيط الهادي الجنوبي شرقاً إلى رأس هورن، وواصل الرحلة عبر الأطلنطي الجنوبي إلى رأس الرجاء الصالح، ثم أبحر شمالاً إلى إنجلترا، فرسى على برها في ٢٥ يوليو ١٧٧٥ بعد رحلة قطع فيها نحو ستين ألف ميل واستمرت ١١٠٧ يوماً.

الرحلة **الثالثة**:

أما بعثته الثالثة فقد التمست طريقاً مائياً من ألاسكا عبر أمريكا الشمالية إلى الأطلنطي. وقد أقلع من بليموث في ١٢ يوليو، ومعه السفينتان رزوايوشن ودسكفري، وطاف حول رأس الرجاء الصالح، ووصل بر تاهيتي، ومضى شمالا بشرق، ووقع على أعظم كشوفه، ألا وهي جزر هاواي (فبراير ١٧٧٨)، التي كان الملاح الإسباني خوان جيتانو قد رآها في ١٥٥٥ ، ولكن أوربا نسيتها أكثر من قرنين، وبعد أن واصل كوك الرحلة إلى الشمال الشرقي وصل إلى ما نسميه الآن بولاية أوريجون، ومسح ساحل أمريكا الشمالية إلى مضيق بيرنج ووراءه حتى الحدود الشمالية لألاسكا.

وعاد كوك إلى هاواي بعد أن أخفق في بحثه عن ممر شمالي شرقي عبر أمريكا، وهناك لقي مصرعه حيث لقي من قبل ترحيباً ودياً، وذلك أن الأهالي سرقوا قارباً من قوارب السفينة «دسكفري» فقاد كوك نفراً من رجاله ليسترده ونجحوا في استرداد القارب، ولكن الأهالي الحانقين أحاطوا بكوك الذي أصر على أن يكون آخر من يبرح الساحل. فأوسعوه ضرباً حتى مات (١٤ فبراير ١٧٧٩)، وكان في الحادية والخمسين من عمره، وقد كرمته إنجلترا بوصفه أعظم روادها البحريين وأنبلهم، وباعتباره عالماً مهذباً، وقبطاناً شجاعاً.

شكل رقم (٨٨) مصرع جيمس كوك

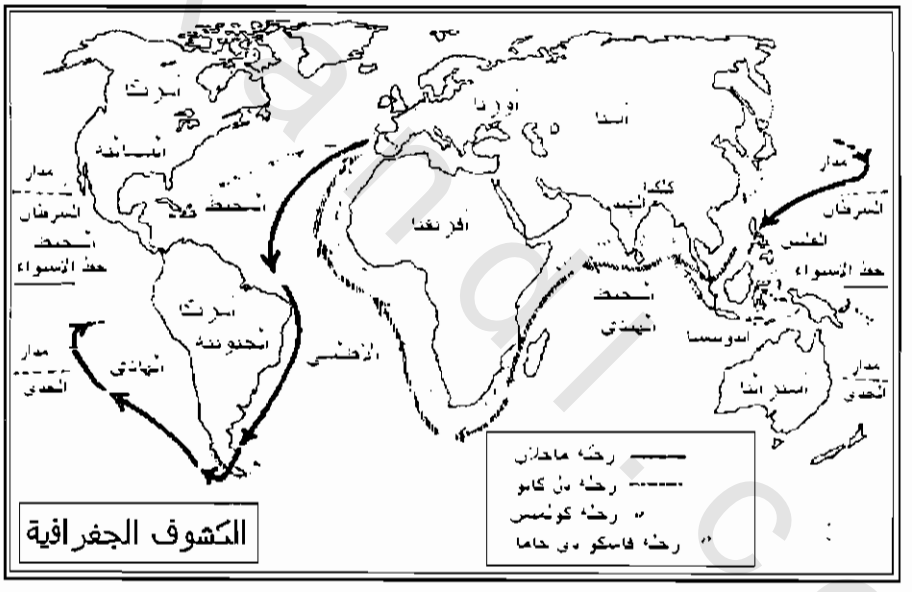

شكل رقم (٨٩) رحلات الكشوف الجغرافية

حركة الكشوف الفرنسية :

بدأت الكشوف الفرنسية حينما وصل الملاح الفرنسي جاك كارتييه Jacques Cartier (١٤٩١ ـ ١٥٥٧م) إلى خليج سانت لورانس وضفاف نهر سانت

لورانس (١٥٣٤م)، وأطق علي تلك المناطق اسمها الحالي: كندا.

شكل رقم (٩٠) جاك كارتييه

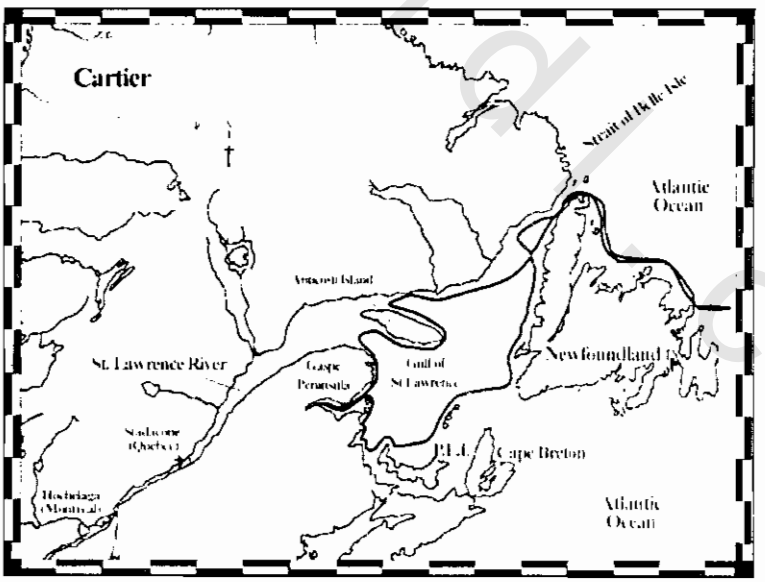

شكل رقم (٩١) رحلة جاك كارتييه عام ١٥٣٤ (١)

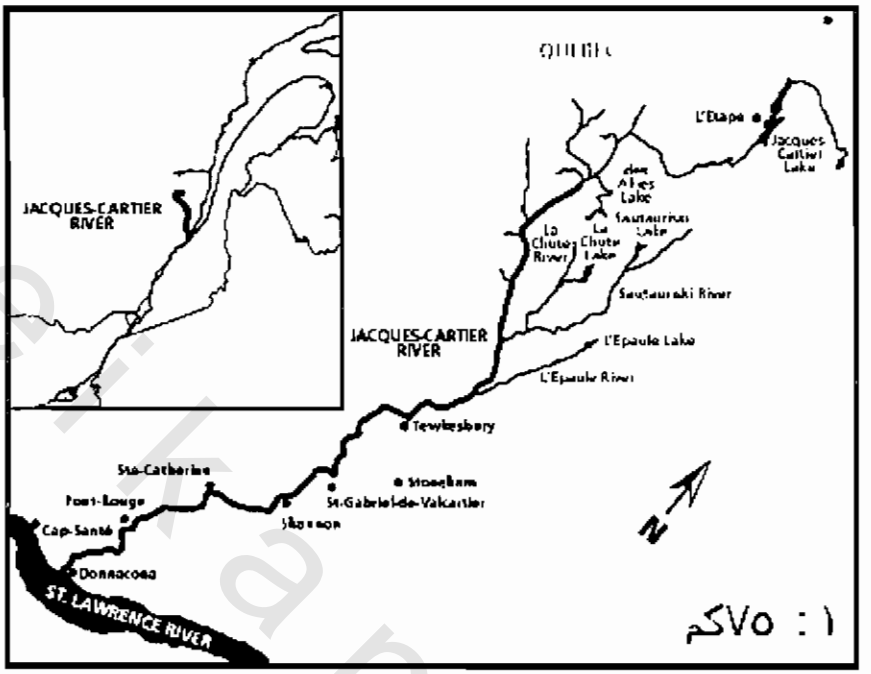

شكل رقم (٩٢) رحلة جاك كارتييه عام ١٥٣٤ (٢)

وقد اهتم الفرنسيون بعد كارتييه باكتشاف العالم الجديد وانتهى الأمر بالسيطرة الفرنسية على كندا وحوض نهر المسيسبي «رحلة لاسال» René-Robert de La Salle (١٦٤٣-١٦٨٧م)، مما أدى إلى الاصطدام مع الإنجليز في سنة ١٦٥٤، وقد أدت حركة الكشوف الفرنسية في العالم الجديد إلى احتكار الفرنسيين لتجارة الصيد والفراء في كندا، كما أدت إلى تنافس استعماري في أمريكا الشمالية مع الإنجليز من أجل السيطرة علي العالم الجديد.

شكل رقم (٩٣) دي لا سال

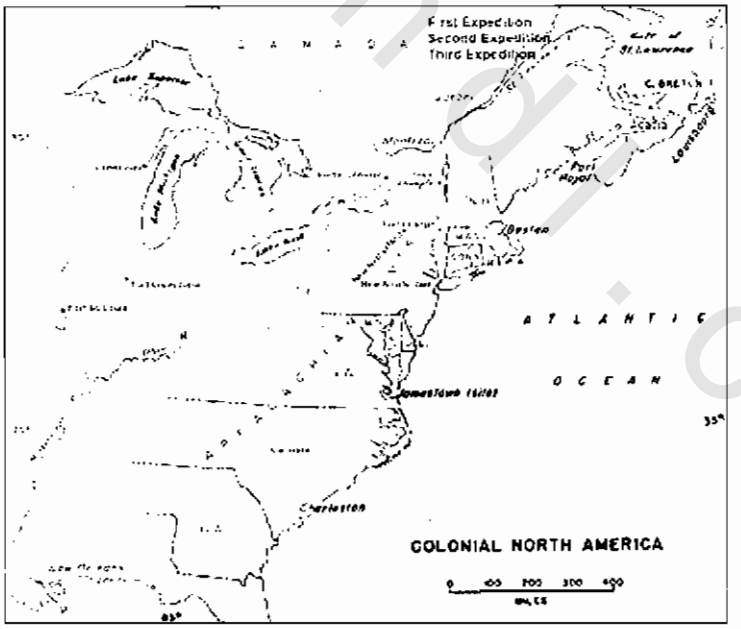

شكل رقم (٩٤) رحلة لاسال

obeikandi.com

حركة الكشوف الهولندية:

أدى قيام حركات الإصلاح الديني في أوروبا، إلى انقسام الأوروبيين إلى كاثوليك وبروتستانت، الأمر الذي نتج عنه اشتعال الحروب الدينية الهوجاء التي هزت كل أوروبا، ولعل أشد وأقسى تلك الحروب هي حرب الثلاثين عامًا ، التى استمرت ما بين عامي: ١٦١٨ و١٦٤٨، تلك الحرب التي اكتوت بنيرانها جميع أرجاء أوروبا، وانتهت أخيرًا إلى حرية العقيدة والتسامح الديني، وذلك على إثر توقيع اتفاقية وستفاليا بين الأطراف المتحاربة.

ورغم أن تلك الحرب كانت مصبوغة بصبغة دينية في بداية أمرها، إلا أنها سرعان ما اتسعت لتحقيق أهداف سياسية واقتصادية للدول الأوروبية المختلفة، وكانت هولندا بالطبع من بين هذه الدول، وقد أفادت هولندا كثيرًا من حرب الثلاثين عاماً، والتي كفلت لها الاستقلال، إذ ان هولندا كانت خاضعة لأسبانيا قبل تلك الحرب، ومن هنا بدأت الرغبة الهولندية في اقتحام ميدان الكشوف الجغرافية والاستعمار.

ويُمكن إرجاع أسباب اقتحام هولندا ميدان الكشوف الجغرافية والاستعمار، إلى ثلاثة عوامل مترابطة، وهي:

الموقع الجغرافي لهولندا، حيث تقع على نهر الراين الذي يخترق أوروبا، مما يُتيحُ لها أن تلعبَ دوراً اقتصادياً أكثر فعالية في تلك القارة، وذلك بأن تكون مركزًا لتجارة التوابل القادمة من الشرق، حيث ان موقع هولندا يُتيحُ نقل هذه التجارة بسهولة لدول أوروبا، في مختلف الأماكن، وبطرق سهلة وغير مُكلفة، فرغم أن البرتغال هي المُكتشِفَة لطريق التجارة الجديد، إلا أن موقعها لم يكن الموقع المثالي، كي تلعب دور المحطة التجارية الرئيسة لهذه التجارة.

تأسيس شركة الهند الشرقية سنة ١٦٠٢م، نتيجة تذمر التجار الهولنديين من

احتكار البرتغاليين لتجارة التوابل، وذلك بسيطرتهم على طرق التجارة، وهي الشركة التي حصلت على امتياز احتكار التجارة، وغزو الأراضي، وعقد المُعاهدات وبناء الحصون.

تَحطُّم قوة البرتغال على يد أسبانيا، والذي كان دافعًا حاسمًا لهولندا كي تقتحم ميدان الاستعمار، وذلك لتُعزِز من موقعها التجاري عن طريق الانقضاض على أملاك البرتغال في آسيا في كل من الهند والهند الشرقية، الأمر الذي نتج عنه تقلص الأملاك البرتغالية.

وقد اتجهت الاستعمار الهولندي إلى شطري العالم الشرقي والغربي في كل من آسيا وأفريقيا والأمريكيتين، بل وأستراليا أيضًا، ورغم أن هدف الهولنديين من كشوفهم الجغرافية كان اقتصادياً بحتاً، إلا أنهم أقاموا مستعمرات ساحلية على ساحل غانة، وامتلكوا جزيرة موريشيوس، ومنطقة ساحل شمال أستراليا، واكتشفوا تسمانيا ونيوزيلاند، بالإضافة إلى اندونيسيا التي اعتبرت قاعدة هولندا الرئيسية في الشرق، وكانت الجهود الهولندية في الأمريكيتين، مُنصبة أكثر على أمريكا الجنوبية عنها في أمريكا الشمالية، وقد استطاعت شركة الهند الغربية الهولندية أن تزيدَ من مساحة الأراضي الهولندية في أمريكا الجنوبية، وذلك بتأسيسهم لعدة مُستعمرات منها مُستعمرة جيانا Guiana، كذلك استولى الهولنديون على باهيا، وأولندا، ورسيف، ونيوأمستردام.

وكان تحقيق أكبر قدر من المنفعة الاقتصادية من المُستعمرات هو المسعى الدائم والغالب على السياسة الهولندية في إدارة مُستعمراتها، وقد مارسوا في ذلك عدة سياسات تهدف إلى تحقيق أهدافهم التجارية في وقت قصير وبتكلفة أقل ومنفعة اكبر، ومن سياساتهم التي لجأوا إليها في أول الأمر سياسة التجارة المباشرة مع أهالي المُستعمرات، إلا أنهم عدلوا عنها، واستبدلوها بسياسة الاستغلال الاقتصادي

لأهالي المُستعمرات، ولذلك بدأت شركة الهند في دفع أثمان المحاصيل الزراعية مُقدمًا ولسنوات لضمان احتكارهم لها، وبيعها بالثمن الذي يتراءى لهم، ومن جهة ثانية كان للهولنديين الحق في انتزاع الأراضي من أصحابها، في حالة عدم وفاء المزارعين بالعقود، وهذا ما تم فعلاً في بعض الجزر.

وفي مُستعمراتها الأخرى - خصوصًا اندونيسيا - لجأت هولندا إلى أسلوب السيطرة العليا، وهو إدارة الحصون والمؤسسات التي تُمكِن هولندا من السيطرة على البلاد، إلا أن إدارة شركة الهند الشرقية رأت أن السيطرة المباشرة والمركزية على الأراضي في المُستعمرات مُكلِفَة من الناحية الاقتصادية، لذا فضلت أن تَنقُلَ ملكيات هذه الأراضي إلى هولنديين، يقومون بأنفسهم بإدارة هذه الأراضي، ومن ثم فقد بدأ الهولنديون في نقل ملكية المناطق الحساسة إلى هولندا، ومنها على سبيل المثال ملكية بعض موانئ اندونيسيا.

وكانت النزعة الاستغلالية هي السائدة في علاقة الهولنديين مع سكان المستعمرات، فبعد ارتفاع الأسعار العالمية للبُن، تم تحويل كثير من المزارع في اندونيسيا إلى ضياع لزراعة البن، وكان على الاندونيسيين أن يقدموا لشركة الهند الشرقية محصولهم بمقابل زهيد جدًا، وهذا يُوضِح مدى بشاعة السيطرة الهولندية، وكان تحويل هذه الأراضي لزراعة البن، يتم على حساب محاصيل زراعية أخرى أكثر أهمية لحياة الإنسان كالحبوب وغيرها من الغلات الزراعية ذات القيمة الغذائية، وقد أدى ذلك إلى وفاة الكثيرين من سكان هذه المستعمرات، وقد كانت اندونيسيا هي مُستعمرة هولندا الرئيسة في آسيا

ومن أسباب تقلص النفوذ الهولندي، انحصار اهتمام الهولنديين باغتنام الفوائد الاقتصادية، بمنأى عن تعزيز قدراتها في المجالات الأخرى، كحسن الإدارة السياسية، وتعزيز الأساطيل البحرية، وتسليح الجيوش بالأسلحة المتطورة، وحسن

توزيعها، وفي الوقت ذاته كانت انجلترا وفرنسا هما الرائدتان آنذاك في تطوير قدراتها العسكرية البحرية والبرية، كما كانتا في تنافس مستمر للإفادة من تطور العلوم المختلفة، بما يكفل لكل منها على حدة التقدم والتطور، والسيطرة على البلاد، وهذا بالفعل ما حدث، إذ انحصر التنافس بين فرنسا وانجلترا على مستعمرات الدول الأوروبية الأخرى حول العالم، ومنها مستعمرات هولندا.

نتائج الكشوف الجغرافية:

استطاعت الكشوف الجغرافية القضاء على الأزمات الاقتصادية التي كانت تعاني منها أوروبا في ذلك الوقت وأن تقلب المقاييس الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والدينية رأسا على عقب، فقد انتعشت طبقة البرجوازية التجارية التي عملت على هدم ما تبقى من النظم الإقطاعية وامتيازات النبلاء، واتضح ذلك فيما بعد بقيام الثورة الفرنسية سنة ١٧٨٩م، كذلك أدى الانتعاش الاقتصادي إلى ظهور الإنتاج الرأسمالي الضخم، وأصبحت الصناعة منذ ذلك الوقت القطاع المهيمن في عملية الإنتاج، وقد أسهمت الكشوف في توسع التبادل التجاري في العالم وأدت إلى استعمال النقد المصرفي (الشيكات) وانتقال التجارة إلى البحار الغربية والجنوبية وضعف أهمية البحر المتوسط وموانئه، ففقدت إيطاليا ومدنها الزعامة التجارية وحلت محلها دول أوروبا الغربية.

وكان من نتائج الكشوف الجغرافية تقدم سائر العلوم خصوصاً علم النبات، بسبب معرفة أنواع جديدة من المزروعات، وعلم الاجتماع نتيجة للاحتكاك بالشعوب الجديدة، فنشأت مفاهيم جديدة قائمة على هذا الإطلاع، ومارس الأوروبيون تجارة الرقيق التي استمرت ثلاثة قرون نقل خلالها إلى الأماكن المكتشفة ما يقارب ١٢ مليون من الأرقاء.

ولعل أهم النتائج التي أسفرت عنها الكشوف الجغرافية هي قيام الحروب

الضارية بين دول أوروبا نتيجة للمنافسة الشديدة على استعمار الأراضي المكتشفة وحماية السلع المستوردة، وبحثاً عن أسواق جديدة لتصريف المصنوعات التي شهدت نمواً عظيما وأدت إلى تجميع ثروات ضخمة، كل ذلك جعل الدول المستعمرة تستخدم أبشع الأساليب والطرق الوحشية في معاملة الشعوب المستعمرة.

وقد أثرت حركة الكشوف الجغرافية في التاريخ الأوروبي الحديث تأثيراً حاسماً، فمن الناحية الاقتصادية أدى استغلال أسبانيا لمناجم الذهب في أمريكا إلى التأثير على الأوضاع الاقتصادية في أوروبا، وقد أدت الكشوف الجغرافية إلى انتقال مراكز التجارة إلى البحار الغربية والجنوبية وبالتالي نهاية عهد البحر المتوسط وانتقال القيادة إلى دول أوروبا الغربية، كما ترتب على حركة الكشوف انتقال الثروة من طبقة ملاك الأرض إلى طبقة جديدة هي طبقة التجار، وسياسياً فقد نتج عن حركة الكشوف نشأة الاستعمار واندفاع الدول الأوربية نحو السيطرة علي العالمين الجديد والقديم (آسيا وأفريقيا) وكان لانتعاش الطبقة البرجوازية التجارية دور مهم في تطور نظم الحكم في العصر الحديث.

وكان من نتائج الكشوف الجغرافية تقدم العلوم الجغرافية أيضا واكتشاف مناطق جديدة كانت في السابق مجهولة ، كما تأكدت نظرية كروية الأرض، وأدت حركة الكشوف الجغرافية إلى زيادة مفاجئة في معرفة الإنسان عن العالم الممكن استيطانه، وكانت النتيجة المباشرة لهذه المعرفة الجديدة هي الاستغلال غير الإنساني للموارد الجديدة، وبالرغم من أن السبب الرئيس للكشوف الجغرافية الأولى كان البحث عن طريق بحري إلى جزر التوابل في شرق أسيا فقد كان لاكتشاف الموارد الضخمة من الذهب والفضة في العالم الجديد أثر أكبر على التجارة الدولية.

وعلى الصعيد الديني بذل المستعمرون الأوروبيون جهدهم في نشر المسيحية بين

السكان الأصليين في البلاد التي حلوا فيها، فبذل البرتغاليون والأسبان جهداً كبيراً في نشر هذا الدين بين سكان أمريكا الجنوبية، التى سرعان ما انتشرت الكاثوليكية فيها، في حين انتشرت البروتستانتية في المستعمرات الإنجليزية في أمريكا الشمالية.

أثر الحركات الكشفية على العرب والمسلمين

ترتبت على حركة الكشوف الجغرافية انعكاسات حادة وخطيرة على العالمين العربي والإسلامي؛ إذ عمل الأسبان والبرتغاليون بعد أن تم الكشف الجغرافي على التبشير بالمسيحية على المذهب الكاثوليكي بين أهالي المكسيك وأمريكا الجنوبية، وكان ذلك أكبر تعويض للبابوية والكنيسة الكاثوليكية عن نفوذها الذي ضاع في كثير من جهات أوروبا بعد ظهور حركة الإصلاح الديني، وتعذر بالضرورة وصول الدين الإسلامي إلى هذه البلاد في وقت مبكر.

وقد أثرت حركة الكشوف الجغرافية بدرجة كبيرة على مركز مصر التجاري، وكان العرب قد اهتموا اهتماماً بالغاً بالتجارة التي درّت عيهم ثروات طائلة بصفتهم وسطاء بين الهند والصين من ناحية، وأوروبا من ناحية أخرى، وسيطروا على التجارة العالمية في العصور الوسطى؛ حيث كانت تجارة التوابل والحرير تنقل إلى أوروبا عبر الطرق المهمة المارة بالمنطقة العربية، وجنت مصر من هذه التجارة الكبيرة الكثير، وظل الأمر كذلك حتى شاهد العالم التحول الواضح من البحر المتوسط إلى المحيط الأطلسي.

وعندما فتح ذلك الطريق الجديد في عام ١٤٩٨م حاول مماليك مصر يؤيدهم في ذلك البنادقة الذين عانوا أيضًا من جرّاء هذا الكشف أولاً بالوسائل الدبلوماسية ثم بالحرب القضاء على هذا الخطر البرتغالي، ولكن جهودهم باءت بالفشل إذ استطاع البرتغاليون إيقاع الهزيمة بالأساطيل المصرية، وتوغلوا حتى الخليج العربي والبحر الأحمر، وفي عام ١٥١٠م وقعت مسقط وهرمز والبحرين في أيديهم.

وعلى الصعيد السوري تدهورت الأوضاع الاقتصادية نتيجة لهذه الكشوف الجغرافية، واضطر التجار السوريون بعد ذلك إلى أن يجعلوا جل اعتمادهم على التجارة البرية؛ إذ كانت حلب رأس الخط التجاري الذي ينتهي إلى بغداد فالبصرة. وهكذا تمكنت حلب من التفوق على دمشق، بينما استطاعت الإسكندرية وطرابلس أن تنتزعا من بيروت مكانة مرفئها التجاري، وبقيت حلب حتى القرن السابع عشر السوق الرئيسية للشرق الأوسط. ولكن أهم نتيجة لحركة الكشوف الجغرافية الحديثة هي أن الدولة العثمانية دخلت في المواجهة مع الأوروبيين محل المماليك الذين كانوا يسيطرون على مصر والشام.

وخلاصة القول أنه كان لرحلات الكشف الجغرافي أثر كبير في التعرف على الكرة الأرضية وأقاليمها الجغرافية، وفي التحقيق من كثير من الأفكار والمعلومات الجغرافية المتصلة بها، وقد مثل ذلك منعطفاً مهماً في تاريخ الدراسات الجغرافية وأسلوب التفكير الجغرافي.

obeikandl.com

من مراجع الفصل السادس

- حرب عبد القادر الحنيطي ـ الارتباط المكاني تطويره وبرمجته ـ مجلة الجمعية الجغرافية الكويتية العدد ٢٦ ـ الكويت ١٩٨١ .

- خليل إسماعيل محمد ـ اتجاهات تطور الفكر الجغرافي الحديث :
http://4geography.com/vb/showthread.php?t=231

- د.م. سميث ـ جغرافية الرفاه الاجتماعي منهج جديد في الجغرافية البشرية ـ تعريب شاكر خصباك ـ مجلة الجمعية الجغرافية الكويتية العدد ٢٣ ـ الكويت ١٩٨٠ .

- عبد الرزاق عباس حسين ـ تحليل بعض خصائص الفكر الجغرافي السوفيتي ومقارنته بالفكر الجغرافي الأمريكي ـ مجلة الجمعية الجغرافية العراقية ـ المجلد التاسع ـ مطبعة العاني ـ بغداد. ١٩٧٦ .

- فيدال دي لابلاش ـ أصول الجغرافية البشرية ـ ترجمة شاكر خصباك ـ مطابع جامعة الموصل ـ الموصل ١٩٨٤ .

- م . ف. دينورسكي ـ الجغرافيون والرحالة المسلمون ـ ترجمة عبد الرحمن حميدة ـ مجلة الجمعية الجغرافية الكويتية العدد٧٣ ـ الكويت ١٩٨٥ .

- محمد رشيد عقيل ـ اثر التجارة والرحلة في تطور المعرفة الجغرافية عند العرب ـ مجلة الجمعية الجغرافية الكويتية العدد٩ ـ الكويت ١٩٧٩ .

- محمد عبد الرحمن الشر نوبي ـ الجغرافيا بين العلم التطبيقي والوظيفة الاجتماعية ـ مجلة الجمعية الجغرافية الكويتية ـ العدد ٣١ ـ الكويت ١٩٨١ .

- محمد علي الفرا ـ علم الجغرافية دراسة تحليلية نقدية ـ مجلة الجمعية الجغرافية الكويتية ـ العدد ٢٢ ـ الكويت ١٩٨٠ .

- محمد محمود محمدين ـ الجغرافيا والجغرافيون بين الزمان والمكان ـ دار الخريجي ـ الرياض ـ ١٩٩٢ .

http://www.alimbaratur.com/All_Pages/Tawaheen_Stuff/Tawaheen_104.htm

http://www.qudsst.com/forum/showthread.php?t=62284